

فوق الجمال

رحت للبحر أرى سرَّ الجمال
في المدى الرحب وبعد الأفق
ونداء الشفق
ووقوف الشمس حمراء على حدّ الهنيهة
والغروب
وأراني في السؤال
أين يا بحر أرى فيك الكمال؟!

وتراءى البدر في الليل ملك
حوله تلك الجواري الفاتنات
وهو يختال على صدر الحلك
ضاحكاً للنجمات
هكذا ..

يولد الشعر وبعض الحب
في ظل الفلك
إنما عاد السؤال
أين يا ليلُ ويا حبُّ ويا بدرُ الكمال؟!

عدت للنهر بأنفاس الصباح
والطيور
نازلات صاعدات
ذا على الغصن يغني
أم ترى يسأل عني
آخر يغطس يلهو مرحاً
بالقرب مني
وانحدار الماء أم شلال نور
هابطاً فوق الصخور

كاللجين

آتياً من ألف عين

إنما في البال قد ظل السؤال!؟

أين يا نهر الكمال

ثم في قصر كبير وغرف

بالمئات

ودواوين التحف

عشرات

خدم أم حشم فوق

عناوين الترف

وعيون الحرس

وبقاع خضرت بالسندس

وبساتين الكنار

واللآلي حول أعناق الجواري

إنما صوت وجيع من عميق القصر

يهتف

مثلما طير بسجن قفصٍ راح يرفرف

ويقول:

"وبيتٍ تعصف الأرياح فيه أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيفٍ

ولبس عباءة وتقرُّ عيني أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف

وأكل كُسيرة في ركن بيتي أحبُّ إليَّ من أكل الرغيف"

ولذا يبقى السؤال

أين يا قصر الكمال!؟

رحت للصحراء أستذكر ليلي العامرية

وأرى الغزلان تعدو

في البراري

والخيول العربية
وهي تجتاز الصحاري
تفتح العالم
حتى نُورَت في الغرب
هاتيك القرون
المعتمات البربرية.
ثم أغراني الحنين
لحداءِ الإبلِ
حيث في عقلي منه
بعض إيقاعٍ وشجوٍ ورنينٍ
ورجوعٍ للخيام البدوية
والنعاج البيض ترعى
الغيثَ في مدِّ البصرِ
وفصيحُ الشعر في أذكي
وأصفي من شعْرٍ
وذرى النخوة والجودِ
وآلاف العَبْرِ
وابتهالاتٍ إلى الرحمان
بالأوتار والمزمارِ
في ظل الليالي القمرية
إنما ظلَّ السؤالُ
أين يا ليلي ويا قيسُ
ويا صحراءُ
أيَّان الكمالُ.!

قلت مهما جُلْتُ في الأرض
وجنَّحت خيالي
في بحورٍ ونهورٍ

وخصيبات سهول
ورياض فاتنات وجبال
ووعور لم يزرها بشر
في الشرق والغرب
وفي كل جنوب وشمال
وكنوز ذهب الدنيا بها
والجوهر الصافي:
يوقيت ودرّ ولآلي
سوف يبقى
مع هذا كله
الهاجس عندي في سؤالي
أين فوق الأرض مفهوم الكمال!؟

ربما يبدو لهذا
— غير أسرار له —
أصعدني ربي لأدنى الدرجات
في الفرديس وجنات النعيم
علني ألقى جواباً لسؤالي.
قلت أعلنت له سبحانه
قلت يا ربي لم الق سوى
ظل الكمال
فسما بي ثم أعلاني وأعلاني
محطات من الروعة في كل صعيد
بينها غير قياس الناس
كل جنّه
تبعد عما تحتها ما بين أرض وسماء
وفروق هائلات في الجمال
إنما .. ما بلغت واحدة عندي

أشراط الكمالِ
فسما بي — ربما أسرع
مما قاله العلم عن الضوء — تماماً وبقيناً
ألفَ عامٍ
ثم دلّاني لساح العزّة العظمى إلى
أعلى مقامٍ
ها هنا، استقبلني
يغمرنني في نوره الأسمى
بودّ وأمانٍ وسلامٍ
عند باب العرشِ ... !
أم تحسبني يا قارئِ أحلمُ
أو أهذي أو أني في منامٍ
لا تعجّل فتلامٍ
أنا في اليقظة: عقلي
وفؤادي وعيوني
بل هو الحق وربي
ربّ هذا العرش
والآي الكريّمات العظامُ
صرت شخصاً آخرّاً قد
غاب مفهوم السؤالِ
هكذا كل كياني
بات مملوءاً بما
فوق الكمالِ
فوق آيات التمني والسنى
فوق الجمالِ:
حببتك
لو كتبتُ معلقاتٍ
بنور سناك

تخلدُ في الزمانِ

محبَّرةً

بعشقِ عبقرِيّ

مرصَّعةً

بأنوارِ المثنائي

ولو أني

جعلتُ الكونَ قلباً

بحبكِ طافحاً

فوقِ الجنانِ

وملاءِ الخافقينِ

جعلتُ حبي

لوجهكِ

ما كفاني الخافقانِ

وظلّتُ كطائرِ البجعِ

اشتياقاً

لسرِّ الحسنِ

يعلو الجانحانِ

ولكنّ..

حين أنزلي بعزِّ

لساحِ العرشِ

حبُّكِ واجتبانِي

ونوركِ

ضمَّ روعي في سلامِ

بقربكِ خالداً

فلقد كفاني.